يقول إن الفلسطينيين وصلوا إلى معاقل هوليوود

حسن حداد: السينما سلاح مهم لمواجهة أية إساءة للعرب والمسلمين

كتب - حسن حداد

يُعدّ الناقد البحريني حسن حداد من النخبة المثقفة البارزة على الساحة العربية. تتبعه للحركة السينمائية العربية عن قرب وحضوره العديد من المهرجانات واللقاءات السينمائية جعل منه ناقدا سينمائيا يُحسب له حساب. اهتماماته بالكتابة في المجال السينمائي بدأت مع أول مقال له في صحيفة أخبار الخليج سنة 1983، وهو عضو نشط وفاعل في نادي البحرين للسينما منذ انخراطه فيه عام 1985. قاده اهتمامه الشديد بالفن السابع إلى إعداد برامج عن السينما لإذاعة البحرين، إضافة إلى موقعه الإلكتروني الخاص بالسينما. ومن إصداراته كتاب عن ثنائية القهر. التمرد في أفلام عاطف الطيب، وكتاب تحت الطبع يحمل عنوان محمد خان، سينما الشخصيات والتفاصيل، وحتى نقترب أكثر من هذا الناقد السينمائي المبدع ونتعرف على آرائه في السينما العربية أجرينا معه هذا الحوار..

■ ككاتب متخصص في النقد السينمائي ما رأيك في الإرهاصات التي تعيشها الساحة السينمائية بمنطقة الخليج؟ هل هي بداية لسينما محلية حقيقية؟

- من الطبيعي أن ينتاب أي متابع للسينما في منطقة الخليج شعور الفرح والاحتفاء بما ينتج من أفلام، باعتبار أن كل هذا النتاج يشكل بداية لتكوين تراث تراكمي للصورة المتحركة في المنطقة، ولا بد له أن يؤسس لسينما خليجية في المستقبل. فإذا تحدثنا عن الفيلم الروائي الطويل في دول الخليج العربي لن تغيب عن ذاكرتنا أفلام قليلة قدمها فنانون مخلصون للفن السينمائي، وبجهود شخصية جداً، مثل الكويتي خالد الصديق، والبحريني بسام الذوادي، وغيرهم قليل.

أما بالنسبة للفيلم الروائي القصير والتسجيلي، فهناك كم ضخم من الأفلام، يبشر بوجود فنانين متعطشين لهذا الفن الجميل، وبالذات في دولة الإمارات، الذين لم شملهم القائمون على مسابقة "أفلام من الإمارات"، حيث توجد تجارب خاصة جداً، يمكنها أن تكون نواة أو حجرا صغيرا لفعل سينمائي مستقبلي، إلا أننا لا نستطيع أن نجزم حتى الآن بوجود سينما في الخليج العربي، باعتبار أن جميع هذه التجارب الفيلمية، بغض النظر عن مستواها الفني والتقني، بمثابة محاولات شخصية في أغلبها نفذت بكاميرات فيديو. بالمعنى الأصح للسينما، وجود عجلة إنتاج سينمائي ثابتة ذات كيان خاص، يمكن أن تشكل استمرارية إنتاجية، وهذا ينطبق على مجمل الأفلام في الدول العربية باستثناء مصر بالطبع، حيث التراث السينمائي الضخم، والمعامل والاستوديوهات وشركات الإنتاج، وغيرها.

في دول الخليج العربي، كما في جميع الدول العربية، توجد طاقات إبداعية جميلة وكثيرة، تحتاج للدعم والتشجيع، حتى يصل إبداعها إلى النور. لدينا سينمائيون كثر، ولكن أين من يأخذ بأيديهم ويحقق ما يصبون إليه؟ فالسينما ليست فكرا وفنا فحسب، ولكنها بالدرجة الأولى صناعة وتجارة، تحتاج إلى رأسمال وإمكانيات إنتاجية حتى تصل إلى المتلقي. السينما، منذ بداياتها، لم تأخذ على عاتقها مهمة القيام بتوعية الجماهير ورفع مستواها الفكري والثقافي، بقدر ما هي بالنسبة للغالبية من المنتجين تجارة تدر عليهم الكثير من الأرباح، ولم يأخذ هدف التوعية حيزاً من أجندة المنتجين.

■ لا شك في أن موقع حسن حداد كمتتبع للحركة السينمائية في البحرين يعطيه شرعية الجزم بوجود سينما بحرينية أو وصفها بأنها مجرد أفلام فردية لموهوسين بالعمل السينمائي بدون سند من جهة معينة.. ما رأيك؟

- المؤسسات الرسمية والأهلية بدول الخليج العربي لا تثق في قدرات هذا الفنان الطموح، وأن يستطيع أن يصنع جمهورا سينمائيا يمكن التعويل عليه، أو لنقل إن هذه المؤسسات ليست لديها هذه الروح المغامرة لتوفير ميزانية لأفلام مستقبلها مجهول! لذا يمكنني الجزم أن السينما كصناعة في دول الخليج لن تقوم لها قائمة إلا من خلال دعم القطاع العام، أي الأجهزة والمؤسسات الرسمية الحكومية، باعتبار أن الهم الفني والتثقيفي يتزامنان مع توجهات هذه الدول لتربية جيل مثقف ومهتم بالأدب والفن بشكل عام، والإحساس من جانب هذه الحكومات بالمسؤولية تجاه المواطن، بغض النظر عن الربح المادي. أما التعويل على القطاع الخاص في قيام سينما محلية . رغم أنه الأفضل. فهذا أمر لا يمكن الرهان عليه مرحليا، باعتبار أن رأس المال الخاص سينتظر طويلاً إلى أن يطمئن إلى وجود جمهور سينمائي، أو بالأحرى مستهلك جيد لهذه الصناعة المنتظرة!

ولكن، لنكن أكثر تفاؤلا بالمستقبل السينمائي في هذه المنطقة الحساسة من العالم، منطقة المال والثروات الطبيعية الكبيرة، ولا بد أن يكون للثروات الثقافية والحضارية الكامنة في إنسان هذه المنطقة دور في إبراز إنسان متحضر وواع لمستوى التفكير والثقافة على المستوى المؤسسي والفردي.

■ من موقعك كناقد سينمائي هل ترى أن السينما العربية تمتلك أدوات وقوة من شأنها أن تعكس الواقع العربي الحقيقي الذي لا يخلو من مشاكل تعيق نموه بشكل طبيعي؟

- كما أسلفت، إن السينما صناعة وتجارة قبل أي شيء، فلا بد أن يكون هناك المنتج الذي يمكنه أن يغامر بماله في فن مطلوب جداً من الجماهير العريضة، مشكلة المنتج العربي هي الجمهور/المتلقي، باعتبار أن أي فيلم عربي (غير مصري)، يحتاج إلى جمهور يغطي تكلفة هذا الإنتاج، وهذا لن يأتي من فيلم أو عشرة، إنه تراكم كمي لا بد له أن يعطي ثماره في المستقبل. ففي الدول العربية، البحريني يريد ترجمة عربية فورية لأي فيلم مغربي أو جزائري، والفيلم البحريني يحتاج إلى ترجمة عربية فورية للمتفرج المغربي، وهذا لن يكون له حل إلا من خلال نشر وتوزيع الفيلم العربي بشكل يزيل هذا العائق اللغوي، وحتى في وجود الحل، فإن أي فيلم عربي لن يعرض في أغلب البلاد العربية الأخرى، وبالتالي لن يُغطي تكلفة إنتاجه. وهذا بالطبع ناتج عن سوء توزيع للفيلم العربي، هذا التوزيع الذي حرمنا من عدد كبير من أفضل الأفلام العربية، والتي حصلت على جوائز وتقدير عالمي.

ولنتخيل مثلاً، أن فيلماً مثل "الهائمون" للتونسي ناصر خمير، مضى على إنتاجه أكثر من عشرين عاماً، لم يعرض قط في البحرين، إلى أن جلبه المقيمون على الأسبوع الثقافي التونسي عام 2004. هذا بالرغم من أهمية فيلم كهذا، حصل على تقدير عالمي وجوائز كثيرة، ومازال يعرض في المحافل السينمائية العالمية، ونخشى أن ننتظر عشرين عاماً أخرى لنرى فيلمه "طوق الحمامة المفقود"، وعشرين أخرى لمشاهدة فيلمه الجديد "بابا عزيز"، هل هذا معقول؟

صناعة السينما في الخليج لن تكون لها قائمة إلا من خلال دعم القطاع العام

أما بالنسبة لمضمون السينما العربية، فنرى أن الغالبية منها تتجه للجانب الترفيهي الاستهلاكي، إلا أن هناك طاقات سينمائية خلاقة نجحت في الوصول إلى المحافل الدولية، بل والحصول على التقدير المناسب الذي تستحقه بالفعل. ونلاحظ أن السنوات العشر الأخيرة أعطتنا مجموعة من المخرجين السينمائيين من سوريا ولبنان وفلسطين؛ فالأفلام اللبنانية والفلسطينية بالذات، فاجأتنا بقدرات ورؤية خلاقة لسينما تعبر عن واقعها بشكل ملحوظ. هذا بعكس الجزائرية، تلك السينما التي اكتسحت الوسط السينمائي العربي خلال عقدي السبعينيات والثمانينات، أين هي الآن؟ الآن نرى الفلسطينيين قد فاقوا التصورات ووصلوا إلى معاقل هوليوود، بفيلمي "يد إلهية" لإيليا سليمان، و"الجنة الآن" لهاني أبو أسعد، هذان الفيلمان حصلا على تقدير مشرّف. فالطاقات السينمائية العربية لا ينقصها شيء للتعبير عن واقعها سوى الإنتاج السخي والمستقل الذي لا ينال من رؤية الفنان وفكرته. طاقات لو أتيح لها ما يتاح للآخرين لوصلت إلى أكثر ما وصلت إليه بكثير.

■ ما رأيك في حمى المهرجانات التي اجتاحت معظم البلدان العربية؟ وهل تمثل إضافة لمجال السينما فيها؟

- بالطبع نعم، فالمهرجانات ضرورة حتمية للنهوض بأي نشاط سينمائي، هي المحك الرئيس للتعاون واكتساب الخبرة والتعارف بين السينمائيين، هذا إضافة إلى مشاهدة الكثير من الأفلام والتعرف على التيارات والتجارب السينمائية العالمية الجديدة، لا بد أن تكون هناك مهرجانات ومحافل سينمائية تثري الساحة الفنية بشكل عام.

■ في اعتقادك هل تستطيع السينما العربية بما لها وما عليها أن تُوظّف كسلاح ضد كل ما من شأنه أن يسيء لصورة العربي والمسلم؟

- السينما سلاح مهم وخطير أيضاً، وتوظيفها بالشكل الصحيح يعطي فرصة لمواجهة أية إساءة للعرب والمسلمين، ولكن على السينما العربية أولاً تناول ومعالجة قضايا حياتية ملحة وأمراض متفشية تعاني منها المجتمعات العربية. بعدها يمكن أن تنجح كسلاح ضد كل ما يسيء لصورة العربي والمسلم.

■ من خلال قراءتك للعديد من الأفلام التي عُرضت أخيرا في مجموعة من المهرجانات، هل لامست أن هناك تمازجاً بين الشكل والمضمون؟ وهل هذه المعادلة استطاعت أن تسفر عن منتج ذي هوية معلنة؟

- إن المتابع للأفلام القليلة التي قدمت فكراً ومضموناً نخبوياً، أقصد التي ليس لها جمهور كبير، وذلك بابتعادها عن التسلية والترفيه المطلوب من متفرج الوقت الحاضر. هذه الأفلام نجحت إلى حد كبير في إعطاء رؤية متوازنة ما بين الشكل والمضمون، وكمثال أفلام المصري محمد خان، والتونسي ناصر خمير، والسوري عبد اللطيف عبد الحميد، والفلسطيني هاني أبو أسعد، وغيرهم قليل.

■ في ظل كل التحركات التي تعرفها منطقة الخليج من انتاجات سينمائية ومهرجانات سينمائية واستوديوهات، هل يوازيها اهتمام المستثمرين وأصحاب القرار لمنحها الدعم الذي تستحق أم المسألة مازالت تحتاج للكثير من الوقت لإقناع هؤلاء أن الفن والثقافة ليست من الدرجة الثانية؟

- الأمر يحتاج فقط إلى رؤوس أموال شجاعة لتنفيذ ذلك.

■ يبدو أن الدراما التلفزيونية التي حققت حضورا متميزا في البرامج التلفزيونية عبر الفضائيات لها تأثير على أعمال الجيل الجديد من المبدعين العرب، إلى أي مدى تتفق معي في هذا الرأي؟

- في السنوات العشر الأخيرة، كان حضور الدراما التلفزيونية كبيراً، وبالذات في شهر رمضان، وهذا الحضور له بالطبع إيجابياته وسلبياته، ومن أبرز إيجابياته أنه يمد السينما العربية بطاقات جديدة على صعيد التمثيل والعناصر الفنية الأخرى. أما السلبيات فتكمن أساساً في تعويد المتفرج العربي على نمط سهل وتقليدي من هذا الكم الدرامي البعيد عن الواقع والذي يقدم بشكل استهلاكي لملء ساعات الإرسال فقط. هذا بالطبع يؤثر على مستوى التلقي لدى المتفرج العربي. وهذا القول ليس تعميماً على كل ما يقدم، بل على الغالبية العظمى منه.

أما بالنسبة للتأثير على إبداع الجيل الجديد، فهذا قول مشكوك فيه، صحيح أن المبدع في أي مجال لا بد أن يتأثر بمجتمعه، وبكل ما يحيط به. إلا أن الفضائيات ربما لا تشكل ذلك التأثير الكبير على المبدع السينمائي، فالفنان السينمائي الأصيل، حسب اعتقادي، لا بد أن يكون محصناً من أي عدوى أو تأثيرات مثل هذه، وذلك لتمكنه من الفكرة الفنية والمضمون المطروح في عمله الفني. أما الفنان الاستهلاكي، فهو من يسمح لسحر الفضائيات بالسيطرة على عمله وإضفاء صفة الاستسهال الفني عليه. وهو أمر متفش. للأسف. في غالبية الأعمال التي تكتسح السوق السينمائي في الوقت الحاضر.

نظرة

فريد رمضان

شيفرة دافنشي.. صراع الحقائق والأوهام!

-1-

"وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدى.. سفر أيوب 38- الآية 11

-2-

يمثل هذا القول الذي يورد في سياق الفيلم الذي أثار ضجة منذ الإعلان عن تحويله من رواية لدان براون إلى فيلم سينمائي، يؤكد بوعي أو دونه حدود تعاطي العامل الروائي والفيلم كذلك بما سيجري من أحداث. وربما هو الأمر الذي نجح فيه المنتج في تسويق لم يكن يتوقع أن ينجح إلى هذه الدرجة، أو ربما هو كان يعمل ذلك، فكان التسويق فيما اشتغل عليه الروائي دان براون من نسيج روائي خيالي لا يوجد ما يثبت صحته، ومن يرى الفيلم الوثائقي الخاص (بالشفرات)، أو ملحق الرواية المتعلق بنفس الموضوع، يدرك ان العاملين كانوا في ذهابهم في صناعة الفيلم مثلما فعل الروائي هو الوصول إلى نقطة ما لم يستطيعوا أن يتعدوها.

ونحن هنا لسنا بصدد الدفاع عن المعتقدات الدينية التي وجدت رفضا من قبل الكنيسة الكاثوليكية التي وجدت نفسها في الفيلم والرواية تدخل صراعا داميا مع ما سمي بجمعية صهيون، ضمن سياق بوليسي بحت، لم يستطع لا توم هانكس بنجوميته ولا المخرج الامريكي رون هوارد بحرفيته من انتشال الفيلم ضمن حبكته البوليسية، الشبيهة بعملية البحث عن الكنز المفقود، المربوط بجريمة قتل هنا، ومطاردات هناك، مع بعض التضمينات التي لا تعاني منها المسيحية فقط بل العديد من الأديان، مثل أن الأناجيل المقدسة ليست هي الأقدم، بل الأناجيل الغنوصية التي حذفتها الكنيسة من لائحة الكتب الإلهية، ودمرتها هي الأصدق، مثل أنجيل مريم، وهو الأمر نفسه نجده متناثراً في كتب التاريخ الإسلامية، حول القرآن الكريم وما حفظ والغي بأمر الخليفة الراشدي عثمان بن عفان! وهي مسألة شائكة بالتأكيد ولكنها سمحت لمخيلة الروائي من ترجمتها وللأسف في رواية بوليسية وهي نقطة ضعف العمل الروائي والسينمائي حسب اعتقادنا. ذلك ان التعاطي مع قضايا مثل هذه تحتاج إلى التعاطي الجاد مع محاكاة تتطلب مغامرة من نوع خاص، وعدم الركون إلى حبكة بوليسية مضحكة في شوارع باريس الضيقة، التي تجعل من مطاردات السيارات كوميديا مثيرة للضحك. وكيف تدخل المصادفات في فك الشفرات والنجاة من الوقوع في يد الشرطة الفرنسية التي دأبت السينما على تكريسها بغباء مثير للشفقة، أمام ما نراه مثلا من شرطة هوليوود الذكية، العنيفة، المدمرة.

إن المغامرة التي تبدأ بجريمة قتل وتنتهي بجرائم كلاسيكية (مَن رسم الفغ يقع في الفغ) حيث سيلاس القاتل الذي يتحدث دائما باللغة الإيرامية، يقتل سائحا في مشهد يقتبس من حكاية المسيح الخيانة العظمى، وهو يقول له: لقد خنتك يا ابني. أو شيئا من هذا القبيل، جعل النهاية سريعة الوصول للمشاهد منذ منتصف الفيلم، وربما منذ مشهد معالجة توم هانكس وهو يؤدي دور الباحث (لانغدون) المتخصص في فك الشفرات من قبل الفنانة صوفي الفنانة الفرنسية (أودري توتو)، وهي تضع يدها بشكل يكشف قدراتها الخفية في معالجة من فوبيا الأماكن المغلقة التي يعاني منها نتيجة وقوعه في بئر وهو طفل صغير.

ويحسب لتوم هانكس رغم أدائه العادي، قبوله بتمثيل فيلم إشكالي ربما يحسب عليه ضمن حسابات هوليوود الخاصة، فيلم محمل بعبء تاريخي تضيع فيه الحقائق من الأوهام، كما قلنا مثله مثل أي دين آخر، لو دخلنا في سبر أعماقه وتقاطعاته.

-3-

"ان حملات البحث عن الكأس المقدسة كانت حملات بحث للركوع والصلاة أمام عظام مريم المجدلية. بهكذا خطاب محمل ببعد إيماني ينتهي الفيلم.

Framadan@alwatannews.net

توم هانكس.. حين يلاحق الأوسكار فناناً متميزاً

يمثل فيلم «شفرة دافنشي» تحد آخر للفنان الكبير توم هانكس، الذي يخوض غمار تجربة سينمائية إشكالية لما تتضمنه من اطروحات تذهب عميقا في تاريخ الديانة المسيحية، وان كان اقليها غير صحيحا وقابلاً للتأويل. حيث طالب الكثير من المؤسسات الدينية بوقف عرض الفيلم لما يعتقدون انه مس بالمعتقدات الدينية المسيحية.

ولد النجم توم هانكس في كونكورد كاليفورنيا في التاسع من يوليو من العام 1956 ونشأ في ما يسميه العائلة المُشتته بسبب انفصل والديه حين كان طفلاً. نجح منذ تجاربه السينمائية الأولى خاصة مع أول أفلامه الكوميدية «حفلة العزاب»، ثم تبعه المتطوعون حين لعب دور المستهتر المثقل بالديون الذي انضم الى كتائب السلام في تايلاند بمشاركة النجمة ريتا ويلسون بعد ذلك قدم فيلم «الرجل ذو فردة الحذاء الحمراء» حين ظهر فيه توم كعازف كمان، تبعه بفيلم آخر ناجح «لا شيء مشترك» حيث لعب دور الرجل الذي كان يعتني بأبيه المريض. بعد مجموعة أخرى من الأفلام التي ادرت عليه عقود كثيرة توقف في العام 1985 عن التمثيل خوفا من الوقوع في الانفصال عن زوجته، ودخل مرحلة الإنتاج والإخراج.

بعد تلك الفترة عاد مرة أخرى للأفلام الكوميدية بفيلمه الشهير «الكبير» وهو الفيلم الذي ادخله عالم السينما من أوسع أبوابها بإدارة المخرج اللامع «بتي مارشال»، في هذا الفيلم يؤدي دور جوش باسكين وهو طفل محصور في جسم رجل يعمل لدى شركة ألعاب الأطفال.

رشح للاوسكار للمرة الأولى عن هذا الفيلم، حينها انهالت عليه عروض مع أهرامات السينما مثل دي نيرو وهاريسن فورد، بعد ذلك قام بأداء دور رائع في فيلم «تيرنر وهوتش» كشرطي مع شريكه الكلب، حينها سيطر توم على سحوبات شباك التذاكر بقوة. بعد ذلك لعب دوره الأول مع ميغ رايان في ضربة قويه أخرى للفيلم الرومنسي الكوميدي Sleepless In Seattle تميز توم بأدائه المحبب في هذا الفيلم حين لعب دور الرجل الأرمل اللطيف الذي لم يستطيع إيجاد امرأة تحل مكان زوجته الراحلة، صدفةً وضعت الفرصة للابنه الصغير للمشاركة بأحد برامج الراديو، توم تكلم عن الحب على الهواء مباشرة بينما كانت ميج الفتاة الرومانسية المشوشة تستمع للبرنامج انجذبت لكلام هانكس، وسط فوضى الصدف والعلاقات الوشيكة أصبحا عاشقين. في سنة 1993 قام بتغيير جري، وسريع فأصبح عام النجاح الهائل لهانكس حين قام ببطولة فيلم «فلادفيا». في هذا الفيلم لعب هانكس دور المحامي الذي طُرد من وظيفته بسبب إصابته بالإيدز فقد طلب من المحامي المشهور دنزل واشنطن لكي يتولى قضيته ضد شركته السابقة التي ظلمت حقوقه الإنسانية، واستحق توم الاوسكار عن هذا الدور. في عام 94 أتت المفاجأة الكبرى بفيلم لا يمكن له ان يتكرر والذي تغيرت نظرات هوليوود والعالم اجمع لهذا الممثل الذي تربع على عرش النجومية في جيله، انه فيلم Forrest Gump.

في عام 1996 كان قد صنع خطوته الأولى خلف الكاميرا حين قام بإخراج وكتابة فيلم That Thing You Do! لم يبتعد كثيراً عن أضواء الكاميرا فقد فعلها وعاد إلى أدوار الرومانسية مرة أخرى مع ميغ رايان في فيلم You've Got Mail. ثم قام بأداء فيلم بدور رئيسي من أحداث حقيقية مع المخرج ستيفن سبيلبيرج في فيلم إنقاذ الجندي رايان». ترشح توم للأوسكار مرة أخرى. واستلم من قبل الحكومة الأمريكية جائزة الخدمة الحكومية الذي تمنحها القوات البحرية الأمريكية للمدنيين. وبعد نجاح سبيلبيرج وهانكس في إنقاذ الجندي رايان قررا أن يعاودا الكره معاً في المسلسل الرائع Band Of Brothers. وأيضاً لعب دوره في أحد اشهر روايات ستيفن كينغ The Green Mile، حيث نرى توم في هذا الفيلم حارس الإعدام المعطوف «بول» الذي أدرك ان المتهم مايكل كلارك «دونكان» شخص يعالج البشر بطريقه غامضة وسحرية، والذي أراد ان يوصل رسالته إلى العالم ان ما يراه من امور كل يوم في هذا العالم البغيض يجعل العقل يذهب جنوناً.

ثم قدم فيلم Cast Away. مرة اخرى يشارك توم هانكس مع المخرج الأسطورة روبيرت زيميكس مخرج فوريست غامب، وذلك حين قام بدور تشوك نولد عامل توزيع في شركة فيديكس الذي وجد نفسه على جزيرة منعزله بعد تحطم الطائرة العنيف. كما شاهدنا في هذا الفيلم ان توم قام بأداء معظم اجزاء الفيلم وحده، وحده أيضاً يصارع للبقاء على قيد الحياة. افتقدنا في هذا الفيلم للحديث والكلمات ذلك ان معظم أحداث الفيلم تعود الى محاولة الاستمرار على قيد الحياة وصراع من أجل البقاء، فاستحق ترشيحه للاوسكار الخامس. في عام 2002 قدم مع المخرج سام ميندبس «الطريق إلى الجحيم» بعد ذلك عاد مع سبيلبيرج في فيلم Catch Me If You Can مع ليوناردو دي كابريو.